**دفع الانسان الى ترقية النفس**

**الدكتور محمد البهى**

**كلما كان الانسان مهذبا كان مقدرا للروح الانسانية وعارفا لمنزلتها ومن ثم لاينزل بها الى الهون بل يسعى فى استمرار الى وضعها الوضع المقدر لها ومن هنا يتخلق الانسان المهذب بصفات تعينه على الاحتفاظ بكرامته الانسانية**

**وفى اوليات هذه الصفات وقناعة النفس وهى ان تضع حدا لحاجتها او لرغبتها مع القدرة على الاستمرار فى تلبية تلك الحاجة او هذه الرغبة ولكى يتصف الانسان بصفة القناعة يحجب إذن ان يتوفر به أمران :**

**1 – الامر الاول : قدرته على تحقيق المزيد ممات تشتهيه النفس**

**2 - الامر الثانى :قدرته على الوقوف عند حد معين فى سبيل ماتشتهيه النفس بفعل الارادة والعزم الصادقين فما لم تكن لديه استطاعة مادية لتحقيق المزيد مما ترغب فيه نفسه وبالتالى اذا كان وقوفه دون رغبة او حاجة لنفسه صادرا عن عجز صادرا عن فقدان الوسيلة لتحقيقها لايكون كتخلقا بخلق القناعة**

**والقناعة بالمعنى الذى شرحنا تقى الانسان كثيرا من الزلل فتحفظ عليه كرامة الانسان لانه عندئذ لايطلب ولايسأل لانه يملك الان التحديد ويستطيع بإرادته التى اكتسبها ان يقف عندما يحدد ومن لايطلب ولايسأل يرى نفسه غنيا وصل الى مستوى العزة وارتفع فوق منازل الضعفاء والاذلاء يقول الله تعالى : ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) المنافقون 8**

**يدل ذلك على ان العزة صفة ذاتية لله جل شأنه وخلق للرسول صلى الله عليه وسلم وتخلق يجب ان يتخلق نه المؤمنون والله غنى عن عباده ولذا كانت العزة صفة ذاتية له وللرسول صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران ولذا كان من خلقه القناعة هى مصدر غنى النفس وعزتها اما المؤمنون فقد طلب منهم بعد ماستقر رايهم واحرزوا النصر على عدوهم بفتح مكة وبعد ما تلاه من لم شمل الانصار مع المهاجرين فى وحدة واحدة واصبحوا امة متآخية ان يمارسوا الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس**

**يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه " رجعنا من الجهاد الاصغر يعنى جهاد الغزوات مع الاعداء الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله ؟ قال جهاد النفس وليس جهاد النفس الا حملها على ان تتخلق بخلق القناعة وليست القناعة الا وسيلة الغنى وباتالى سبيل البلوغ الى مستوى العزة والكرامة الانسانية والقناعة بعد ذلك شىء والطموح شىء اخر القناعة تحفظ الانسان من النزول بينما الطموح يدفع الانسان الى الرفعة القناعة حد وتحديد لما تشتهيه النفس والنفس لاتشتهى الا ما تلح عليه الغرائز والغرائز حيوانية فى طبيعتها واهدافها ( اما الطموح فهو السعى نحو مايزيد فى قيمة الانسان كإنسان هو السعى لتحقيق المثل العليا فى الحياة ) هو شد الانسان الى ان يكون له تاريخ وتاريخ الانسان يستحيل ان يوجد عن طريق تحقيق الشهوات والرغبات ولكنه يتم بالبطولات فى اى مجال من مجالات الحياة الانسانية مما تعد نماذج حية تذكر فيفتدى بها فيما بعد**

**ان اسوأ مايسىء الى الانسان ان يخلط بين القناعة والطموح او ان يحدد القناعة بمفهوم العجز وعدم الاستطاعة وفق**

**وفقدان الوسائل لتحقيق الرغبات ( ان القناعة والطموح فضيلتان وكل فضيلة لاتتحقق الا اذا كان خلفها ارادة قوية واستطاعة على التكيف والاخذ بمقياس الاعتدال )**

**ومع صفة القناعة فى تحقيق مستوى التهذيب للانسان بصره بالامور وادراكه للواقع الذى يعيش فيه ادراكه لنفسه إدراكه لمجتمعه ادراكه لوقته وعصره وبهذا الادراك السليم يستطيع ان يسلك ويتصرف بما لايسىء الى نفسه وبما لا يعد اعتداء فى صورة ماعلى غيره ولكن لا يكون للبصر بالامور وادراك الواقع وطبيعة المجتمع اثره في التهذيب الا اذا ( اقترن بالتطبيق واصبح التطبيق عادة وتخلقا يصدر عن انسان بدون حاجة الى تكلف من بقظة او انتباه او تنبيه ) لايكفى ليصبح الانسان مهذبا ويكون تصرفه عنوانا على التهذيب ان يقف على مفهوم هذه الايات :**

**1 – ( ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ) أل عمران : 159**

**2 – ( وجدلهم بالتى هى احسن ) النحل 125**

**3 – ( وقولوا للناس حسنا ) البقرة83**

**4 – ( وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ) النساء 86**

**5 \_ ( يأيها الذين ْامنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ) النور 27**

**بل لابد من ممارسة صاحب المعرفة والبصر لما تبصر فيه وعرفه فى حياته العملية والا بقيت المعرفة فى عزلة عن الحياة فى السلوك والتطبيق الواقعى وسارت الحياة فى تطبيقها وواقعها فى اتجاه يضاد ماتقضى به المعرفة ان معرفة السوى والحميد من السلوك ضرورة فى تحصيل مستوى التهذيب لدى الانسان لكن تحقيق هذاالمستوى بالفعل مرتبط ارتباطا اقوى بالمباشرة والتطبيق وحمل النفس فى حزم على ادائه وهذا ايضا كثيرا مايقع خلط بين العلم والفضيلة فى مجال التهذيب حتى ليظن ان العلم وحده كاف لتبليغ الانسان الى مستوى التهذيب او حتى ليظن كذلك ان وصف الانسان بالعلم والمعرفة عنوان فى الوقت نفسه على انه يبلغ مستوى الانسان المهذب**

**( والواقع ان التهذيب صورة عملية سلوكية تتوقف على علم ومعرفة كما تتوقف على دراية ومران تدفع اليه ارادة قوية وعزم صادق )**

**والاسلام فيما رسمه من معاملات حدد المعرفة الصحيحة التى يقوم عليها تهذيب انسانى كريم وفيما فرضه من عبادات ضمن الامرين الاخرين اللذين لابد منهما فى تحقيق التهذيب وهما الدربة والمران ثم الارادة والعزم الصادق ولذا كان الاسلام فى معاملاته وعبادته كلا لايتجزأ ووحدة واحدة لاتقبل التبعيض اما ان تؤدى فى وحدتها او تترك على حدة حتى لايحسب عليه القصور فى عدم بلوغ مستوى التهذيب ان أخذ ببعضه وترك البعض الاخر منه**

**( أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ) البقرة 85**

**وان الذى يطبق بعض مبادىء الاسلام فى حياته ولايبطبق البعض الاخر أشبه بمن آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر فى أن كلا منهما حمل الاسلام تبعات التخلف عن المستوى الانسانى الكريم فى التهذيب على حين امه يعلن الانتساب اليبه وليس من حسن الانتساب الى الاسلام ان يحمل وزر التأخير ووزر التخلف ولا سوء الفهم او الجمود فى حركة الفكر وحركة العمل ( إن الدين عند الله الاسلام ) آل عمران 19**

**ولن يكون دين الله اذا كان فى طبيعة مبادئه مايضعف الانسان او يحول دون ان يكون انسانا بعد الايمان به وممارسة تكاليفه فى اخلاص وفى غير خداع لنفسه او لغيره ان الانسان من طبيعته ان يصيب وان يقصر وان يسىء الفهم وان يجمد فى حركته وان الانسان من طبيعته ايضا ان ينسب العيب والتقصير وسوء الفهم والجمود فى الحركة الى غيره اذا لم يعرف قدر نفسه ويسلك طبقا لما عرف**

**( إن المعرفة بدون تطبيق تخلق أنصاف المثقفين والمتعلمين وما لم يكن لاكتساب العادات الفاضلة شأنه فى المراحل الدراسية المختلفة ويسير مع تحصيل المعرفة جنبا الى جنب فسيبقى التهذيب الانسانى أملا ويبقى الضمير الخلقى مرجوا وقلما يكون له أثر فى حياة الافراد وحياة المجتمع )**

**ان الاسلام ضرورة اجتماعية اذا اريد للمجتمع ان يكون ذ1ا مستوى تهذيبى فاضل ان كم المتخرجين فى الجامعة والمدارس لا يحقق امل هذا المجتمع بقدر مايحققه النوع المهم**